رسالة ملكية الى ندوة حوار
أديان التوحيد السماوية من أجل ثقافة السلام

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يوم 18 شوال 1418 الموافق 16 فبراير 1998م، رسالة الى الندوة الدولية التي انعقدت بالرباط حول حوار أديان التوحيد السماوية من أجل ثقافة السلام.

وفي ما يلي نص الرسالة الملكية التي تلاها في الجلسة الافتتاحية للملتقى السيد إدريس خليل، وزير التعليم العالي والبحث العلمي والثقافة:

الحمد لله وحده;

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة والسيدات،

يطيب لنا ان نتوجه اليكم في مفتتح هذا الملتقى بتحية السلام وعبارات الاشادة والتقدير، ذلكم ان ملتقاكم هذا في إطار الحوار بين الأديان السماوية وفي عاصمة مملكتنا وتحت رعايتنا ليعد مصدر اعتزاز للمغرب ومنبثق آمال لكل الفعاليات المؤمنة برسالة الأديان في تحقيق الوئام والسلام.

لهذا يسعدنا أن نتوجه إليكم أصحاب السماحة والفضيلة معبرين عن شكرنا لاختياركم المغرب ملتقى لهذا الحوار ومؤئلا لإنجاح هذا الخيار. هذا الحوار الذي نريده جميعا أن يكون فرصة للتأمل والتفكير في استشراف المستقبل الروحي للإنسانية.

وإننا لننوه بادئ ذي بدء بالمساعي النبيلة والجهود المبذولة التي رصدت من أجل هذا اللقاء بين شخصيات دينية مرموقة ومفكرين متميزين

لإبراز القيم المشتركة بين الأديان السماوية وبناء ثقافة حوار على أساسها. كما يسرنا أن نعبر لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو عما نكنه لدورها ومؤسساتها في نشر الثقافة والمعرفة من عميق التقدير، وأن نؤكد إرادتنا المتجددة في دعمها لخدمة أهدافها، كما يسعدنا أن نعبر لمديرها العام السيد فيديريكو مايور عما نكنه من تقدير شخصي لما يقوم به من عمل جليل وسعي نبيل من أجل مبادئ المنظمة وتحقيق رسالتها.

حضرات السادة والسيدات،

لا يخفى عليكم جميعا ما آلت اليه أوضاع الإنسانية خلال هذا القرن الذي نعيش آخر سنواته. فقد بلغت هذه الأوضاع الحد الأقصى من المعاناة لاختلال القيم الأخلاقية واتساع الهوة بين شعوب غنية وأخرى فقيرة، واستفحال مخاطر النزاعات العرقية وانتشار العنف والجريمة المنظمة وتعاطي الموبقات بغير رادع من ضمير أو أخلاق، مما يستوجب منا التصدي لكل هذه المخاطر التي أصبحت تحديا مقلقا وهما واصبا يفرض علينا التعبئة في إطار استراتيجية تتضافر فيها جهود كل الفعاليات الدينية والثقافية والاجتماعية لتطويق انتشارها. ومما ينعش الأمل في تجاوز هذا الواقع أن تلك الفعاليات استطاعت أن تبرز حتى الآن مدى دور الدين في تعبئة النفوس وتحسيس الضمائر لتدارك هذا الخلل الذي يتهدد السلام العالمي، ويعرض الإنسانية لكوارث أخلاقية محققة. فأخذت كثير من المؤسسات الدولية تهتم بالحوار بين الأديان في سبيل ضمان تظافر جهود المؤمنين بها لمواجهة تلك التحديات والحد من تفاقمها.

وهي تحديات تضاعف من مخاطرها المراهنة من لدن الدول القوية على امتلاك آليات التحكم في مستقبل البشرية اقتصاديا وإعلاميا وتكنولوجيا وعولمة الثقافة البرغماتية والمادية الغوغائية. فهذه المخاطر ينبغي أن تزيد من

وعينا بضرورة التصدي لها، ولما يتهدد السلام العالمي من سلبياتها الناجمة عن فقدان التوازن أمام تياراتها المتدافعة وفقدان المرجعية الأخلاقية لتطويقها.

وإن رؤية عميقة وروحية بالأساس تنفذ الى مكونات هذا الواقع المعقد لتجعلنا ندرك غياب تحكيم القيم الدينية والأخلاقية في هذا الواقع. وفضلا عن ذلك، فإن من شأن هذه الرؤية الدينية المتبصرة وتوعية الناس بها أن يساهم في تبديد ظلمات ما نستشعره من مخاوف ودرء ما نتوقعه من مخاطر، وهي مسؤولية الجميع من حكومات ومؤسسات دولية ومجتمع مدني وفعاليات فكرية ودينية كل بحسب موقعه وإمكاناته ومناهجه واختصاصاته. ولا ريب في أن مسؤولية علماء الدين ومفكريه، ولا سيما الأديان السماوية الملتزمين بالعقيدة الإلهية الواحدة، لمدعوون أكثر من سواهم لتعبئة نفوسهم وحشد وسائلهم لمواجهة هذا التحدي المنذر بكل مخاطر التدمير للقيم الإنسانية. لا لأنهم يجب أن يكونوا في طليعة المناضلين ضد تزييف القيم وتشويه الشخصية الإنسانية وحسب، ولكن لكون الأديان السماوية التي ينتمون إليها أن يكون لها معنى أو بالأحرى لن يكون لالتزامهم بها معنى خارج هذا التصدي وتلك المواجهة التي تفرضها عليهم عقيدتهم في كل وقت وحين تجاه مقاومة هذه المخاطر وتطويق آثارها.

إن الإنسانية في هذا الوضع الذي أشرنا اليه لتحتاج الى مرجعية أخلاقية مشتركة تجتمع على الإيمان بها والعمل من أجلها، والسلام الذي ننشده اليوم كمطلب حيوي بين الأمم والشعوب وبين الأفراد والجماعات هو إحدى تلك القيم الأخلاقية المرجعية التي لا بد من ترسيخها بيننا، لأن المخاطر التي أشرنا اليها إنما تصيب الأمن والسلام العالمين في مقاتلهما

ويتهديديهما، لا يبقى للقيم الأخرى صوت يسمع أو نداء يستجاب له. ومن تم يبدو لنا أن ثقافة السلام والحوار يتعين ترسيخها اليوم ضمن التقاليد الدولية والمناهج المقررة في المؤسسات التربوية والعلمية لحفظ السلام وضمان استمراره.

واذ كانت ثقافة السلام هي ما نحتاج إليه، فإنها تستوجب الإقرار بمشروعية الاختلاف واعتباره أمرا طبيعيا بين الناس ودليلا على الغنى الفكري للإنسانية وعلى التنوع الثقافي والحضاري، كما تستوجب التسليم بالتعددية في الهويات الثقافية والمعتقدات الدينية. وإن أول ما يترتب على الإقرار بمشروعية الاختلاف الالتزام بالحوار سبيلا الى التعارف والتفاهم ومنهجا في التواصل والتعاون. ومن المقرر عند العقلاء أن اللقاء المباشر والحوار الموصول بين المختلفين ينطوي في حد ذاته على الفضيلة؛ فضيلة التسامح والاعتراف بالآخر والإقرار بالتكافؤ معه حقوقيا وثقافيا، فضلا عما يؤدي اليه ذلك الحوار من رفع الحواجز النفسية التي تعوق تفعليه تلك الحواجز التي ترسخها الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة أو المفتعلة التي تقف في وجه إدراك الحقيقة وملامسة الواقع الموضوعي في كثير من الأحيان. ومن المسلم به أيضا أن أحق الناس بالحوار وأقدرهم على وصل أسبابه من أجل التفاهم والتعايش أولئك الذين يلتقون حول القيم الأخلاقية الواحدة ويجتمعون حول التسليم بالمبادئ الروحية المشتركة، وهم الذين يوحد بينهم الإيمان بالله الواحد الصمد، وهذه بلاشك هي حال جميع المؤمنين المنتمين للديانات السماوية.

حضرات السادة والسيدات،

إن هذا اللقاء الذي يجمعكم اليوم وأنتم تمثلون هذه القيم الدينية المشتركة والمرجعية الأخلاقية الجامعة، ليدل دلالة عميقة على قوة إرادتكم

وإرادة من تمثلونهم من مؤمنين من مختلف الأديان السماوية، لذلك يتعين ألا تضيع فرصة هذا اللقاء سدى دون أن يتم الشروع في تأسيس حوار منتظم ومستمر بين أبناء أديان التوحيد السماوية من جهة، والعمل على تأسيس ثقافة السلام وثقافة الحوار من جهة ثانية، ذلكم أنه يتعذر الفصل بين هذين المطلبين. فالسلام هو قوام عقيدة التوحيد وغايتها وإنشاء ثقافة الحوار هو السياج الآمن الذي تستقر به أسباب السلام والتعايش بين الأديان. ولا شك في أن هذا الهدف النبيل هو الذي جمعكم اليوم وألهمكم ان تختاروا موضوع هذا اللقاء الكريم.

حضرات السادة والسيدات،

إن الدين الإسلامي الحنيف دعوة صريحة الى الحوار بين أديان التوحيد، وقد أعلن القرآن الكريم هذه الدعوة، لأنه نزل في بيئة ووسط حضاري كان ملتقى للمسيحية واليهودية والإسلام، ولأنه دين الوسطية الذي يطالب اتباعه بالإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبكل الكتب المنزلة عليهم. ولذلك حث القرآن المسلمين على محاورة أتباع الأديان السماوية كلها، الذين يجتمعون على عبادة الإله الواحد فقال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتالي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». ولم يكتف الإسلام بالدعوة الى هذا الحوار من أجل السلام والوئام وإنما أقر أسبابه بين أبناء الديانات السماوية وفرض على المسلمين الجنوح الى السلم والدخول فيه بغير تردد. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة». وفرض علينا نحن المسلمين بذل السلام فيما بيننا وجعل شعار التحية المتبادلة بيننا هو قولنا السلام عليكم، لذلك سيكون من الطبيعي أن تكون الدعوة الى بناء ثقافة السلام وإشاعته بين الأديان وتبديد

رواسب الأحقاد والنزاع فيما بين المؤمنين مطلبا يسرعون الى الاستجابة اليه كلما دعا اليه الداع. أما حينما تكون الدعوة الى السلام والى التخطيط للمناهج الكفيلة بتحقيقه وإنشاء ثقافته وإقامة مؤسساته، فإنه لا يسع هؤلاء المؤمنين إلا الاستبشار به والشعور العميق بالارتياح اليه واسترواح ريح الآمال المعلقة عليه.

وما أحسبكم أصحاب الفضيلة والسماحة إلا مثلنا منشوقين لانطلاق أعمال هذا الملتقى الذي يؤسس هذا الحوار، مستبشرين به تواقين الى ما يحمله من آمال وطمأنينة. وإننا لننتظر من إجتماعكم هذا أن ينبثق عنه وصل أسباب الحوار بينكم وجعل هذا الحوار متصلا في إطار ثابت يضمن الانتظام والمتابعة ويلهم ذوي المسؤوليات وأصحاب القرار في تحقيق التعايش بين الأمم والشعوب، وإحلال السلام بينها القيم التي تضيء سبيلهم وتشد عضدهم وتبصر كل الفاعلين من حولهم بأن مملكة الله في الأرض هي لجميع أبناء آدم المستخلفين فيها ليعمروها بالإصلاح ويسعوا في تنمية خيراتها بأسباب التنمية المتاحة، وتوارث قيم التوحيد والعدل والمساواة والسلام بينهم، لافرق بين شعوبهم وقبائلهم إلا في التكريم الإلهي الذي يخوله الباري جل وعلا لأكثرنا تعلقا بالفضيلة وتمسكا بمخافة الله وبذل الخير والإحسان والمحبة للجميع .

ولا شك في أن أفئدة دعاة السلم في كل مكان من عالمنا لتطمئن لمثل هذا اللقاء وتدعو له بالنجاح والتوفيق لأن قصدكم جليل وهدفكم نبيل، فهو يعلو بالإنسانية الى أفق تأصيل بناء السلام وتبديد عوائقه القائمة بين أهل الأديان منذ عصور خلت، وأن ما يعلقه عليكم هؤلاء الدعاة والمؤمنون من آمال عريضة لكثير. وهذا ما يلقي عليكم مسؤولية جسيمة لاتتحقق إلا بالحوار الموصول واللقاءات المتتابعة والإخلاص في المقاصد والصدق في

تحري الوفاق على المبادئ المشتركة والثوابت التي لاخلاف عليها. ولذلك لا مندوحة لكم عن التخطيط لبرنامج عمل مشترك نرجو أن يسعفكم الوقت بتحديد ملامحه وإبراز خطوطه العريضة. كما نرجو أن تتمكنوا من إعداد جدول القضايا الكبرى التي ترتبط بقضية استتباب السلام بين الشعوب والدعوة الى تظافر الجهود في معالجتها لتغليب منطق السلام على كل اعتبار آخر.

أعانكم الله وسدد خطاكم ويسر أسباب التوفيق بينكم لخدمة العدل والسلام، وتحقيق ما تهفو اليه قلوب المؤمنين جميعا من تآخ وتوافق ووئام، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

«قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» صدق الله العظيم. والسلام عليكم ورحمة الله.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط
في يوم الجمعة 15 شوال عام 1418 هـ
الموافق 13 فبراير 1998.
الحسن الثاني
ملك المغرب